

خطبه الجمعة - الخطبة ١٤٥ : خ ١ - المحبة - قل إن كان آباؤكم ، خ ٢ - الطاقة الكهربائية.

لضيالة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٣١-١٠-١٩٨٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخطبة الأولى :

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كانَ لِنَهَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ، وَمَا تَوْفِيقِي
وَلَا اعْتِصَامِي وَلَا تَوْكِلِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، إِقْرَارًا
بِرَبُوبِيَّتِهِ ، وَإِرْغَامًا لِمَنْ جَدَ بِهِ وَكَفَرَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ
سَيِّدَ الْخَلْقِ وَالْبَشَرِ مَا اتَّصَّلَتْ عَيْنُ بَنْظَرٍ ، وَمَا سَمِعْتُ أَذْنَ بَخْرَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدَ ، وَعَلَى آلِهِ وَاصْحَابِهِ ، وَعَلَى ذَرِيَّتِهِ وَمِنْ وَالَّاهِ وَمِنْ
تَبْعَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، اللَّهُمَّ عَلَمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَانْفَعْنَا بِمَا عَلِمْنَا وَزَدْنَا عِلْمًا ، وَأَرْنَا الْحَقَّ حَقًا وَارْزَقْنَا
اتِّبَاعَهُ ، وَأَرْنَا الْبَاطِلَ باطِلًا وَارْزَقْنَا اجْتِنَابَهُ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ،
وَأَدْخِنَا بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ .

لِمَ لَمْ تَكُنْ كَلْمَةُ الْمُسْلِمِينَ هِيَ الْعَلِيَّةُ فِي هَذَا الْوَقْتِ؟!

أيها الإخوة الأكارم ؛ يعذ المسلمين اليوم ما يزيد عن ألف مليون ! فلِمَ لَمْ تَكُنْ كَلْمَتَهُمْ هِيَ الْعَلِيَّةُ
لِلإِجَابَةِ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ .

١- آثروا محبة آبائهم على طاعة الله .

يقول الله عز وجل :

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَآبَاءِ أَبْنَائِكُمْ وَإِخْرَانُكُمْ وَأَنْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالُ افْتَرَقْتُمُوهَا وَتِجَارَةً
تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنَ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى
يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

[سورة التوبة الآية : ٢٤]

﴿ فَتَرَبَّصُوا ﴾

أي الطريق أمام مسدود .

﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾

آية واحدة ، لو تأملها الإنسان ، ولو تدبرها ، لو عقلها ، لعرف أنه في اللحظة التي يؤثر أباه ،
أو ابنه ، أو أخيه ، أو زوجته ، أو عشيرته ، أو المال ، أو التجارة ، أو المسكن الذي يرضاه ،

يؤثر هذه كلّها أو أحدها على الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربيصوا . السؤال الدقيق : لم ختم الله هذه الآية بقوله تعالى :

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

يعني إذا أمرك أبوك أن تعصي الله تعالى ، ورأيت أن مصالحك متعلقة به وأن هذا البيت الذي تسكته ، لو أغضبته لأخرجك منه ، وأن هذا الإرث العريض لو أغضبته لحرملك منه ، أمرك أن تعصي الله تعالى ، أمرك أن تأكل مالاً حراماً ، أمرك أن تفعل ما يغضب الله ، إذا آثرت مصالحك مع أبيك على طاعة الله عز وجل فالطريق إلى الله تعالى مسدود ، وحينما تؤثر مصالحك المتعلقة بأبيك على طاعة الله ، لا بد من أن يحملك هذا الإيثار على فسق ، أو معصية ، أو فجور .

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ﴾

قليل جداً هم الآباء الذين يأمرنون أبناءهم بالمعصية ، ولكن إذا حدث هذا فلا طاعة لمخلوق لمعصية الخالق ، قال تعالى :

﴿وَإِنْ جَاهَكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبِهِمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾

[سورة لقمان الآية : ١٥]

أناس كثيرون يخلطون بين الإحسان إلى الآباء ، وبين العبادة ، العبادة لله وحده ، والإحسان إلى الوالدين ، أما إذا تناقض الإحسان مع العبادة ، فلا طاعة لمخلوق لمعصية الخالق .

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ﴾

يعنى أنكم آثركم أن ترضوهم على حساب دينكم ، وعلى حساب شرعيكم ، وطاعة ربكم ، ورضاء الله عز وجل ، إن آثركم ذلك انطلاقاً من مصالحكم التي ترونها متعلقة بهم ، فالطريق إلى الله تعالى مسدود ، تربصوا ، اقعدوا ، ولن ترتفعوا ، ولن ترتفعوا ، ولن تقربوا .

﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾

أي أمر هذا ؟ حتى ترون نتيجة أعمالكم ، حتى ترون أن هذا الذي أرضيته في معصية الله تعالى سخط الله عنه ، وأسخط عنك هذا الذي أرضيته في معصية الله تعالى ، قسم على الأباء شخصاً كثرين ، لو أنك وجدت إنساناً تخشى شره ، أو ترغب فيما عنده ، أو تعلق عليه آمالاً كبيرة ، أو ترى أن في طاعته وإرضائه تحقيقاً لمصالحك ، وأرضيته ، وأسخط الله عز وجل ، تربص ، لا بد من أن تصل إلى نتيجة خطيرة وهي ؛ أن الله سبحانه وتعالى سخط عليك ، وأسخط عليك هذا الذي أرضيته ، وعصيتك الله عز وجل ، من أرضي الله بسخط الناس رضي الله ، وأرضي عنه الناس ، ومن أسخط الله تعالى برضاء الناس سخط الله عنه ، وأسخط عنه الناس .

﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾

العبادة لله وحده ، والإحسان للوالدين ، ولا تخلط بينهما ، شيء آخر يقع فيه عامّة المسلمين ، يتوجه أنّه إذا أرضي والديه فقط ، ولم يرض الله عز وجل فلا بد من أن تكون أموره ميسرةً ،

لابد من أن يصبح غنياً ، لابد من أن يكون هذا الرضا معه في كلّ أمر ! نحن معك إلى حدّ ما ،
أما أن تظنَّ أن إرضاء الأب والأم ، وإغضاب الله عز وجل يحلُّ المشكلات ، لا والله قال تعالى:
﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَنَّا تَعْبُدُوا إِلَيْاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

[سورة الإسراء الآية : ٢٣]

٢- آثروا محبة أبنائهم على طاعة الله .

قال تعالى :

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾

[سورة التوبه الآية : ٢٤]

آثرت له مكانة رفيعة على حساب دينه ، آثرت له دخلاً كبيراً على حساب عقيدته ، آثرت له شهادة علياً على حساب أخلاقه ، آثرت أن يكون ابنك في موقع كذا وكذا ، ولو أغضبت الله عز وجل ، فتربيصوا ، فلابد أن ترى العقوق من هذا الولد ، الذي أغضبت الله من أجله ، لابد من أن يكون عاقاً لك لأنك أرضيته بسخط الله ، فلابد من أن يسخط الله ، ويسلط هذا الذي أرضيته على حساب طاعة الله عز وجل .

٣- آثروا محبة أخوانهم على طاعة الله .

قال تعالى :

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْرَانُكُمْ﴾

[سورة التوبه الآية : ٢٤]

كنت مع أخيك على باطل ، نصرته على باطل ، كنت معه على أية حال من دون أن تتحقق ، ومن دون أن تفكّر ، ومن دون أن تحاكم ، ومن دون أن توازن ، كنت معه وسطاً ، على حقّ أو على باطل ، على خيرٍ أو على شرّ ، ناصرته على حساب دينك ، ناصرته على حساب عقيدتك ، ناصرته على حساب إسلامك ، فتربيصوا فالطريق إلى الله مسدود ، وانتظر حتى يأتي اليوم الذي تُsuccع فيه ، فترى هذا الأخ الذي ناصرته ، وأغضبت الله عز وجل ، فينقلب لك عدوّاً .
فتربيصوا حتى يأتي الله بأمره

﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾

[سورة التوبه الآية : ٢٤]

فالطريق مسدود ، وسوف ترى أنَّ هذا الذي أرضيته ، وأغضبت الله عز وجل سينتكرُ لك ، وسينقلبُ لك عدوّاً ، كن مع الله ترى الله معك .

٤- آثروا محبة أزواجهم على طاعة الله .

قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ ﴾

[سورة التوبه الآية : ٢٤]

هذه الزوجة التي تروق لك ، أصرت على أن تخرج هكذا ، بما يغضب الله عز وجل ، وأنت من أجل أن ترضيها أغضبت الله عز وجل ، ومن أجل أن تبقى معك زوجة أغضبت الله عز وجل ، ومن أجل أن لا تقع معها في مشادة أغضبت الله عز وجل ، أصرت على كذا وكذا ، وأصرت على أن يكون هذا الحفل في الفندق الفلامي ، ومخالطًا ، أرضيّتها وأسخطت الله عز وجل ، قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ ﴾

[سورة التوبه الآية : ٢٤]

هذه التي تعيش معها ، وهذه التي ترید أن لا تغضبها ، هذه التي تعجب الله من أجلها ، هذه التي تقدوك ولا تقدوها ، مع أن القوامة لك أيها الرجل فالرجال قوامون على النساء ، هذه التي أحببت ابتسامتها على أن تقبل على الله عز وجل ، الطريق إلى الله مسدود ، وتصلي صلاة شكلية ، ليس فيها إقبال ، وليس فيها حرارة لأنك أغضبت الله عز وجل وأرضيّتها ، فترّبصوا ، انتظر كي تجد منها خلقاً ذمياً ، كي تجد منها لئماً ، كي تجد منها تخلياً ، وحتى خيانة ، لأنك أرضيّتها وأغضبت الله عز وجل .

٥- آثروا محبة عشيرتهم على طاعة الله .

قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَاتُكُمْ ﴾

[سورة التوبه الآية : ٢٤]

هكذا أقرت أسرتك أن تطلق زوجتك ، وقد سمعت أن بعض الأسر تتّفق على أن تأمر فلانا بطلاق زوجته ، آثر أن يرضي أهله ، وظلم هذه الزوجة المسكينة لأنها لم ترق لهم ، قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَاتُكُمْ ﴾

[سورة التوبه الآية : ٢٤]

قس على هذا موضوعات كثيرة ، إذا أرضيّت عشيرتك ، وأغضبت ربّك إذا أرضيّت زوجتك ، وأغضبت ربّك ، وإذا أرضيّت أخاك وأغضبت ربّك ، إذا أرضيّت ابنك وأغضبت ربّك ، إذا أرضيّت أباك وأغضبت ربّك ، فلا بد من أن يأتي أمر الله تعالى ، أي أمر هذا ؟ أمر الله أن يتذكر لك هؤلاء جميعا ، وأن يقلبو لك ظهر المجن ، أن تجد منهم لئما ، وتخلّيا ، وخيانة وعداؤه ؛ لأنك أرضيّتهم في سخط الله تعالى ، قال تعالى :

﴿ فَتَرَبَصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

[سورة التوبه الآية : ٢٤]

لا يهدي القوم الفاسقين ، لأنك بارضائهم وقعت في الفسق ، قال تعالى :
﴿ وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾

[سورة الأنعام الآية : ١٥٣]

طريق الحق واحدة ، لا تتبدل ، لا تتغير ، لا تعدل .

٦- آثروا محبة المال على طاعة الله .

قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَاتُكُمْ وَأَمْوَالُ اقْتَرَفْتُمُوهَا ﴾

[سورة التوبه الآية : ٢٤]

هذا المبلغ الضخم حيازته عندك أغلى من إرضاء الله عز وجل فكبته من شبهة ، كسبته من وجه حرام ، تصوّرت أن هذا المال يحل لك المشكلات ويجعلك تعيش في رفاهية ، وسيدفع عنك الفقر ، كسبته من معصية ، ومن طريق لا يرضي الله عز وجل ، وهذه التجارة التي لا ترضي الله تعالى ، وهذه البضاعة محرمة ، يدر عليك هذا المطعم مئات الألوف ، ولكن الخمر تباع فيه ، تجارة تخشون كсадها ، آثرت الربح الوفير ، على جنة عرضها السماوات والأرض .

٧- آثروا محبة التجارة على طاعة الله .

قال تعالى :

﴿ وَتِجَارَةً تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ﴾

[سورة التوبه الآية : ٢٤]

آثرت أن تروج هذه البضاعة عن طريق الغش ، آثرت أن تروج هذه البضاعة عن طريق اليمين الكاذبة ، آثرت هذه البضاعة على رضا الله عز وجل .

٨- آثروا محبة البيوت على طاعة الله .

قال تعالى :

﴿ وَتِجَارَةً تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنٌ تَرْضَوْنَهَا ﴾

[سورة التوبه الآية : ٢٤]

إن كان هذا المسكن ، وتلك التجارة ، وهذا المال ، وهذه الزوجة ، وهذا الأخ ، وهذا الابن ، وهذه العشيرة ، وهذا الأب أحب إليك من الله ورسوله ومن شرع الله ، ومن طاعة الله تعالى ،

قال تعالى :

﴿ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

[سورة التوبه الآية : ٢٤]

هذه هي الأجوبة :

هذا هو الجواب لمن تسأعل هذا السؤال ، لماذا نعد الآن ألف مليون ؟ وكلمة المسلمين ليست هي العليا ، ولماذا كان أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام يدعون عشرة آلاف ، وقد فتح الله على أيديهم المشارق والمغارب ؟ لأن الله ورسوله كان أحب إليهم من عشيرتهم ، ومن زوجاتهم، يا فلان أربد كذا وكذا ، فقال لها زوجها : اعلمي يا فلانة أن في الجنة من الحور العين ما لو أطلت إداهن على الأرض لغلب نور وجهها ضوء الشمس والقمر ، فلان أضحي بك من أجلهن أهون من أن أضحي بهن من أجلك ، يا بني لاأكل الطعام حتى تكفر بمحمد ! قال : يا أمي ، لو أن لك مئة نفس فخرجت واحدة واحدة ما كفرت بمحمد فكري إن شئت أو لا تأكلني ، ثم أكلت ، قال تعالى :

﴿ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

[سورة التوبه الآية : ٢٤]

قال تعالى :

﴿ وَيَوْمَ حُنِينٍ إِذْ أَعْجَبْتُمْ كَثُرَتُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ ثُمَّ وَلَيْتُمْ مُذْبِرِينَ ﴾

[سورة التوبه الآية : ٢٥]

ثم قال تعالى :

﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرُوهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَرَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾

[سورة التوبه الآية : ٢٦]

إذا أعجبتك نفسك ، إذا أعجبتك شهادتك ، إذا أعجبك علمك ، إذا أعجبتك قوتك ، إذا أعجبك مالك ، إذا أعجبك نسبك ، إذا أعجبك ما أنت عليه ، ونظرت إليه واستغشت عن الله عز وجل ، لابد من العقاب السريع ، أصحاب النبي عليهم رضوان الله تعالى ماذا فعلوا ؟ قالوا كلمة واحدة ، وربما قالوها بقلوبهم ، قالوا يوم حنين ، وقد كان عدهم يزيد عن عشرة آلاف مقاتل ، وهذا العدد لم يجتمع في الجزيرة العربية إطلاقاً ، يوم بدر كانوا ثلاثة مئة ، يوم أحد كانوا ألفاً ، يوم الخندق كانوا مستضعفين ، وكان الإسلام على وشك الدمار ، يوم حنين كانوا عشرة آلاف مقاتل ، فقال بعضهم : لن نغلباليوم من قلة ، لو لم تذنبوا لخفت عليكم ما هو أكبر ما الذي هو أكبر من الذنب ؟ العجب ، قال تعالى :

﴿ وَيَوْمَ حُنِينٍ إِذْ أَعْجَبْتُمْ كُثُرَكُمْ فَلَمْ تُقْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ ثُمَّ وَلَيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾

[سورة التوبة الآيات : ٢٥ - ٢٦]

لا تنظر إلى علمك يا أخي ، قل اللهم لا علم لي إلا ما علمتني ، لا تنظر إلى قوتاك ، وقل اللهم إني تبرأت من حولي وقوتي ، لا يكفي أن تقول هذا بل يجب أن تقر نفسك بهذا ، يجب أن تشعر بالضعف ، وبالافتقار إلى الله عز وجل ، قال :

وَمَا لِي سُوِيْ فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ بِالْاِفْتَقَارِ إِلَيْكَ فَقْرِي أَدْفَعُ
وَمَا لِي سُوِيْ قَرْعِي لِبَابِ حِيلَةٍ إِنْ رَدْتَ فَأَيْ بَابٍ أَقْرَعُ
الْاِفْتَقَارِ إِلَيْهِ عَزْ وَجَلْ هُوَ التَّوْحِيدُ .

يا قيس

أيها الإخوة الأكارم ؛ النبي عليه الصلاة والسلام في بعض خطبه قال موجها الخطاب لقيس .
يا قيس :

إِنَّ مَعَ الْعَزَّ ذُلًا ، وَإِنَّ مَعَ الْحَيَاةِ مَوْتًا ، وَإِنَّ مَعَ الدُّنْيَا آخِرَةً ، وَإِنَّ لَكُمْ شَيْءٌ حَسِيبًا ، وَعَلَى كُلِّ
شَيْءٍ رَقِيبًا ، وَلَكُلِّ حَسَنَةٍ ثَوَابًا ، وَلَكُلِّ سَيِّئَةٍ عَقَابًا ، وَلَكُلِّ أَجْلٍ حَسَابًا .
كُلِّ سَيِّئَةٍ لَهَا عَقَابًا وَكُلِّ حَسَنَةٍ لَهَا ثَوَابًا .

وَكُلِّ شَيْءٍ سُوفَ تُحَاسَبُ عَلَيْهِ ، وَكُلِّ شَيْءٍ نَقْعُلُهُ أَنْتَ مُرَاقبٌ فِيهِ ، وَمَعَ الْعَزَّ ذُلًا .
مَا لَمْ يَكُنْ عِزَّكَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ مَعَ الْعَزَّ ذُلًا .

أَلَا يَا رَبَّنَا نَسِيْ طَاعَةٌ نَاعِمَةٌ فِي الدُّنْيَا ، جَائِعَةٌ عَارِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَلَا يَا رَبَّنَا نَسِيْ طَاعَةٌ
نَاعِمَةٌ فِي الدُّنْيَا جَائِعَةٌ عَارِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَلَا يَا رَبَّنَا نَسِيْ جَائِعَةٌ عَارِيَةٌ فِي الدُّنْيَا طَاعَةٌ نَاعِمَةٌ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

إِنَّ مَعَ الْعَزَّ ذُلًا ، إِنَّ مَعَ الْحَيَاةِ مَوْتًا ، وَإِنَّ مَعَ الدُّنْيَا آخِرَةً ، وَإِنَّ لَكُمْ شَيْءٌ حَسِيبًا ، وَعَلَى كُلِّ
شَيْءٍ رَقِيبًا ، وَلَكُلِّ حَسَنَةٍ ثَوَابًا ، وَلَكُلِّ سَيِّئَةٍ عَقَابًا ، وَلَكُلِّ أَجْلٍ حَسَابًا ، إِنَّهُ لَابِدَ لَكَ يَا قيسَ مِنْ
قَرِيبٍ يُدْفَنُ مَعَكَ وَهُوَ حَيٌّ ، وَتُدْفَنُ مَعَهُ وَأَنْتَ مَيْتٌ ، فَإِنْ كَانَ كَرِيمًا أَكْرَمْكَ ، وَإِنْ كَانَ لَئِمًا
أَسْلَمْكَ ، ثُمَّ لَا يُحْشِرُ إِلَّا مَعَكَ ، وَلَا تُحْشَرُ إِلَّا مَعَهُ ، وَلَا تُسْأَلُ إِلَّا عَنْهُ ، فَلَا تَجْعَلُهُ إِلَّا صَالِحًا ،
فَإِنْ كَانَ صَالِحًا لَمْ تَسْتَأْنِفْ إِلَّا بِهِ ، وَإِنْ كَانَ فَاحِشًا لَمْ تَسْتَوْحِشْ إِلَّا مِنْهُ ، أَلَا وَهُوَ عَمَّا كَرِهَ .
عَمَّا كَرِهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، بَعْدَ مَا تَسْتَأْنِسَ ، وَبَعْدَ مَا تَسْتَوْحِشَ ، وَبَعْدَ مَا يُعْزِّزُكَ اللَّهُ عَزْ وَجَلْ ،
وَبَعْدَ مَا تُعَذَّبُ ، وَتُتَعَزَّمُ ، هُوَ مَعَكَ ، لَا يَفْارِقُكَ ، تُدْفَنُ مَعَهُ ، وَيُدْفَنُ مَعَكَ ، تُحْشَرُ مَعَهُ ،
وَيُحْشَرُ مَعَكَ ، أَلَا وَهُوَ عَمَّا كَرِهَ .

موقف سيدنا عبد الله بن رواحة من الموت :

أيها الإخوة الأكارم ؛ قال تعالى :

﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبَرِ﴾

[سورة العصر]

سيّدنا عبد الله بن رواحة رضي الله عنه عيّنه النبي عليه الصلاة والسلام القائد الثالث لجيش مؤتة ، عيّن الأول سيّدنا زيد بن الحارثة ، والثاني جعفر بن أبي طالب ، والثالث عبد الله بن رواحة ، وأمر الثاني أن يتسلّم القيادة إذا قُتل الأول ، وأمر الثالث أن يتسلّم القيادة إذا قُتل الثاني ، وكانت معركة مؤتة معركة صعبة للغاية ، ما أن نشبّت حتى استشهد سيّدنا زيد بن حارثة رضي الله عنه ، تسلّم الراية منه سيّدنا جعفر ، ما هو إلا حين من الوقت حتى استشهد ، بقي عبد الله بن رواحة ، وكان شاعراً ، يبدو أنه رأى الموت قريباً ، فقال قبل أن يأخذ الراية :

يا نفسُ إِلَّا تُقْتَلِي تَمُوتِي هَذَا حَمَّ الْمَوْتِ قَدْ صَلَّيْتُ
إِنْ تَفْعَلِي فَعَلَهُمَا رَضِيتُ وَإِنْ تَوْلِيْتُ فَقَدْ شَقَّيْتُ

ثم أخذ الراية فقاتل بها حتى قُتل ، بلغ أمرُ استشهاد هؤلاء القادة الثلاثة النبي عليه الصلاة والسلام ، فذرّفت عيّناه بالدموع ، ثم قال لأصحابه : أخذ الراية أخيكم زيد فقاتل بها حتى قُتل ، وإن لأرى مقامه في الجنة ، ثم أخذ الراية أخيكم جعفر فقاتل بها حتى قُتل ، وإن لأرى مقامه في الجنة ، ثم سكت النبي عليه الصلاة والسلام ، فلما سكت النبي عليه الصلاة والسلام فلق أصحابه الكرام على مصير أخيهم عبد الله ، فقالوا : يا رسول الله ، ما فعل عبد الله ؟ فقال : ثم أخذ الراية أخيكم عبد الله فقاتل بها حتى قُتل ، وإن لأرى في مقامه ازوره عن صاحبيه ! هبط مقامه درجة لأنّه تردد ، ولم يأخذ الراية مباشرةً ، قال في ثلاثة ثانية :

يا نفسُ إِلَّا تُقْتَلِي تَمُوتِي هَذَا حَمَّ الْمَوْتِ قَدْ صَلَّيْتُ
إِنْ تَفْعَلِي فَعَلَهُمَا رَضِيتُ وَإِنْ تَوْلِيْتُ فَقَدْ شَقَّيْتُ

مقدار هذا التردد : وإن لأرى في مقامه ازوره عن صاحبيه ، بما بال المسلمين اليوم ؟ لا يتربّدون ، لماذا ؟ لأنّهم لا يفعلون الخير ، إنّهم حول ذواتهم ، وحول أمور بيتهما ، وحول أعمالهم ، وحول كسب المال ، وحول تجميع المال ، وحول اقتناص الدنيا ، حول الانغماس في ملذاتها ، وهم يُعدّون ألف مليون ، وليس كلمتهم هي العليا ، هذه سيمتهم ، وتلك قيمة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنحن في واد ، وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في واد . أيها الإخوة المؤمنون ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أنّ ملك الموت قد تخططنا إلى غيرنا ، وسيتخطّي غيرنا إلينا فلنرتّدّ حذتنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبّع نفسه هوها وتمنّى على الله الأمانى .

والحمد لله رب العالمين

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم ، اللهم صل وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الطاقة الكهربائية :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ العلماء يقولون : ما من كائنٍ حيٍ إلا وفي نشاطه الحيوي طاقة كهربائية ، فالقلب مثلاً يولد تياراً كهربائياً تعادل شدته واحد بالمئة من الفولط ، وما أجهزة قياس ضربات القلب إلا عن طريق هذا التيار الكهربائي الذي يولد هذا القلب ، لذلك تسمى هذه الأجهزة أجهزة التخطيط الكهربائي ، هذا شيءٌ معلوم ، أية عضلةٍ ؛ من حركتها تتولد طاقة كهربائية ، هي من الشدة بحيث يتحملها الإنسان ، ولكن الشيء الذي لا يصدق أن بعض الأسماك في البحار تولد تيارات كهربائية تزيد شدتها عن مئتين وعشرين فولطاً ، وأن هذه الأسماك تدافع عن نفسها عن طريق إرسال صدقةٍ كهربائية تُميّز خصمها في أعماق البحار ، وأن بعض الأصناف الأخرى تزيد شدة التيار الذي تولد من جنبيها عن ستة مئة فولط وقد أخذت بعض هذه الأسماك ، ووضعت في أحواض ، ووضع في الأحواض ، مصابيح كهربائية فلستطاعت السمكة الواحدة أن تجعل ستة مصابيح كهربائية ، طاقة المصباح الواحد مئة واط ، أن تتألق جميعاً لعدة ثواني ، سمكة في أعماق البحار يدرسها الطلاق في بعض المواد العلمية ، وقف العلماء عند هذه الظاهرة ، كيف تولد هذه السمكة تلك الطاقة الكهربائية ، شرحوها فإذا على جنبيها مواسير سداسية هي بمثابة الخلايا الكهربائية ، عن طريق الطاقة الكيميائية تتولد هذه الكهربائيات في أجسامها ، فوجدوا أن في السمكة الواحدة ما يزيد عن أربع مئة خلية كهربائية ، هذه الخلايا مُرتبطة مع بعضها بعضاً عن طريق التسلسل ، بحيث إذا صدر أمرٌ من دماغ السمكة تفرغ شحنتها دفعة واحدة باتجاه العدو ، الشيء الذي يُلفت النظر دقّة توصيات هذه الخلايا ، توصياتها ، ووصل الأمر بِتقرير شحنتها بالدماغ ، شيءٌ يأخذ بالأليلاب ؛ أربع مئة خلية كيميائية تستطيع أن تصدر تياراً كهربائياً صاعقاً ، تزيد شدتها عن ستة مئة فولط ، إن الإنسان يموت بهذا التيار فوراً ، لو أن سمكة أرسلت لسابع هذه الصدقة فإنها تميتها فوراً ، الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾

[سورة فصلت]

سمكة تصدر تياراً كهربائياً يزيد عن مئتي وعشرين فولطاً ، وسمكة أخرى تصدر تياراً كهربائياً يزيد عن ستة مئة فولط ! وضعت هذه السمكة على قماش مبلل قبل أن تموت ، وأمسك بالقماش

المبلى رجل ، وأمسكه رجل إلى أن أصبح الرجال ثمانية فما إن اتصل الدارة حتى انقضَّ الرجال الثمانية من شدة صعقة هذه السمة .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ مخلوقات الله عز وجل دالله على عظمته ، وعلى قدرته ، وعلى علمه ، وعلى خيرته .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرفا عنّا شرّ ما قضيتك فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، إنه لا يذلّ من وليت ، ولا يعزّ من عاديت ، تبارك ربنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيتك نستغفك اللهم وننوب إليك ، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عننا ، وأصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير ، واجعل الموت راحهً لنا من كل شرّ ، مولانا رب العالمين ، اللهم اكفنا بحالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك ، اللهم لا تؤمنا مكرك ، ولا تهلك عنا سترك ، ولا تتسلّى ذكرك ، يا رب العالمين ، اللهم إنا نعوذ بك من عصال الداء ومن شماتة العداء ، ومن السّلب بعد العطاء ، يا أكرم الأكرمين ، نعوذ بك من الخوف إلا منك ، ومن الذلة إلا لك ، ومن الفقر إلا إليك ، اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيدهم ولاتهم إلى ما تحب وترضى إنه على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين